

المحاضرة الاولى

مقدمة عن أخلاقيات المهنة

يعد موضوع الأخلاقيات المهنية موضوع شائع في العالم، وهو مهم وأساسي في حياة الأفراد ومنذ القدم كان أساس حياة الأفراد، فهو لا يتعلق بالجوانب الفنية في العمل، وإنما بالأساس الأخلاقي له . كما انه لا يخاطب العقل فقط بل الضمير والوجدان أيضا، فهو حوار النفس قبل حوار الآخرين إذ منذ القدم كان موضوع أخلاقيات المهنة محل اهتمام لارتباطه بكل جوانب الحياة سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، علاوة على ذلك فإن هذه الأخلاقيات وثيقة الصلة بالعقيدة الإسلامية بل لا تقوم إلا بها .

فماهي أخلاقيات المهنة

سنحاول التعرف إلى أهم المفاهيم المتعلقة بالأخلاقيات المهنية بدءا بالتطور التاريخي لها، ثم تحديد مفهوم أخلاقيات المهنة مع الفصل بين مفهومي الأخلاق والأخلاقيات وبعض المفاهيم الأخرى ، وفيما يلي سنتطرق للتطور التاريخي لأخلاقيات المهنة وذلك على المنوال التالي :

إن إحدى فضائل التاريخ هي أن يزودنا باستمرار بقدر اكبر من المعرفة في كل مرة جديدة نعود فيها إليه، ثم إن النظرة إلى المستقبل في موضوع الأخلاقيات المهنية لا تساويها في الأهمية في اغلب الأحيان إلا نظرة في الماضي، و إن أي نظرة إلى المستقبل بدون مراجعة إلى الماضي لسوف يكون محكوما عليه أن يعيد هذا الماضي بكل أخطائه.

إن الأخلاقيات وهي مجموعة القيم التي تميز ما هو جيد عما هو سيئ ظهرت مع الإنسان منذ البدء، واستمرت معه إلى وقتنا الحاضر و ستلازمه طالما ظلت هناك حياة على سطح المعمورة . ومن منظور التراث الغربي يعود تطور النظرية الأخلاقية إلى أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ قبل الميلاد) وتعود جذور كلمة Ethics بمعنى (أخلاق) إلى الكلمة اليونانية (Ethos) والتي تعني العادات والسلوك أو الصفات

- **الحضارة البابلية :** تعتبر الحضارة البابلية أول محطة في مسار الأخلاقيات عبر التاريخ إذ تعد مدونة حمورابي أقدم مدونة قانونية وجدت منذ أكثر من أربعة آلاف سنة في وادي الرافدين ، وقد تضمن هذا القانون ٢٨٢ مادة اشتملت على إرشادات وقواعد للتجار وواجبات للمهنيين كالبنائين والأطباء وغيرهم ، وكذلك العقوبات المترتبة على عدم الالتزام بهذه الواجبات بشكل صحيح.

وبذلك يعتبر البابليون أول من اهتم بالأخلاق المهنية للبنائين والأطباء وغيرهم ، وهي المهن التي انتشرت آنذاك ، وهو ما دل على وعي الإنسان منذ القدم بضرورة تقنين الأخلاق المهنية.

- **الحضارة الرومانية :** ترجع أصالة الرومان في تفكيرهم الاجتماعي والسياسي إلى الدور الكبير الذي لعبته روما في تطبيق المبادئ القانونية والسياسية والإدارة العامة تطبيقاً عملياً في الشعوب التي أخضعوها، ولهذا اتصفوا بالصرامة في الخلق، وقوة العزيمة ، وخضوع تصرفاتهم لنظام دقيق في ظل القانون .

ويستخلص من ذلك أن نظرة الرومانيين كانت تتوسع لتتجه إلى العالمية وفكرة الدولة العظمى ، فيشقى الإنسان من أجل عظمة هذا الكيان الذي يكون هدفه الأسمى العدالة وتحقيق سعادة هذا الإنسان الذي يجب أن يسمو بأخلاقه كلها بدءاً من الأسرة والعمل والمجتمع لتحقيق الأهداف المشتركة للإنسان ودولته .

- **الأخلاقيات المهنية في الإسلام :** لا بد وقبل الخوض في موضوع الأخلاقيات المهنية في الإسلام أن نوضح كيف يتميز المجتمع برقيته وحضارته ؟

لاشك أن تميّز المجتمعات وورقيها نابع من الفكر المنتشر والسائد فيه، ولكي يتميز أي مجتمع عن غيره يجب أن يقوم على مكارم الأخلاق التي بها تتحضّر الشعوب والأمم. ولأن المجتمع المسلم قد تميّز بأشمل وأدق شريعة عرفتها الدنيا على مر العصور نتج عن ذلك رقياً حضارياً ليس له مثيل متمثلاً بنموذجاً اجتماعياً راقياً، وأسرة متحابّة متماسكة فمجتمعاً حضارياً مستقراً متواداً متكافلاً، وقد تحقق ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنشاء ذلك المجتمع المتميّز والفريد الذي جمعته رابطة العبوديّة لله وحده، لا المنصب ولا الشهرة ولا المال، ولا الهوى، والملذات والشهوات، ولا حتى المصالح الشخصية.

إذ جاء المعلم الأكبر محمد صلى الله عليه وسلم ليتم مكارم الأخلاق، وحين امتدحه ربه -عز وجل- اختار أفضل الصفات ليثني عليه بها فقال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [سورة القلم/ الآية: ٤] وأقرب الناس مجلساً من الرسول يوم القيامة أحسنهم أخلاقاً والخلق الحسن أيضاً علامة على كمال الإيمان، والمسلم الحق من سلم المسلمون من لسانه ويده أي من أقواله وأفعاله، هذه قيمة الأخلاق في نظر الإسلام فالأخلاق السامية تعني الصدق والأمانة والنزاهة والقوة والعفة والعطاء وحسن المعاملة، وهذا ما اتسم به معلم البشرية من جود وشجاعة وحياء وحسن عشرة وعظيم أدب وحسن عهد، وصلة رحم، وعدل وتواضع وبسط خلق..

كذلك الإيمان والأخلاق متلازمان إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المؤمنين أكمل إيماناً، فقال أحسنهم أخلاقاً، والإيمان بشريعة الخالق والالتزام بها هو الذي يحدد للمعلم سلوكه في مهنة التدريس كما أن العلاقة قوية جداً بين الإيمان والصدق والوفاء والأمانة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » ويبدو جلياً من القرآن الكريم والسنة المطهرة أن معنى الإيمان بالله تعالى ، أن يكون المؤمن ذا خلق محمود. أي أن الأخلاق السيئة في معلم ما دليل على عدم وجود الإيمان لديه.

كذلك هناك علاقة قوية بين الأخلاق والعبادات لأن العبادات هدفها وغايتها السمو الخلقي بالمسلم، وأهم عبادة شرعها الإسلام هي الصلاة لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى فيقول الله تعالى في حديثه القدسي: « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل بها على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكرى، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلاه بعزتي، واستحفظه بملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثلي الفردوس في الجنة » هكذا يتقبل الله الصلاة ممن أثمرت فيه تواضعا ورحمة وخلقاً وطيباً. وعندما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المعلم القدوة لنا جميعاً في هذه المهنة، قالت: « كان خلقه القرآن » لهذا نجد أن التزام المعلم بالعبادات مثل الصلاة في مسجد المدرسة أو الصيام.. إلخ يعد أحد أخلاقيات مهنة التدريس، وعلى كل معلم أن يدرك تماماً أن الانتماء لهذه المهنة والقيام بها على أكمل وجه، ليس بالعمل اليسير وطريقها ليس مفروشا بالورود، فهي ليست وظيفة فقط وليست حرفة تحتاج لمهارات معينة، بل هي تكليف بأحد فرائض الله ومن يعمل فيها وجب عليه الالتزام بشروطها وأخلاقياتها